سر الحياة

حل لغز الامراض وبساطة العلاج

لنقولا الحداد

ظهر في أول الحرب الحاضرة كتاب في موضوع جديد لم يطرقهُ أحد قبل جورج لاخوفسكي العالم الطبيعي الروسي . كتبهُ بالفرنسية لأنهُ مقيم في باريس ومتجنس بالجنسية الفرنسية . وترجمه الى الانكليزية مارك كليمنت وطبع سنة ١٩٣٩ . وسيكون لنظرية هذا العالم شأنٌ كبير في علوم البيولوجيا والباثولوجيا والبكتيريولوجيا والسيكولوجيا

برهن لاخوفسكي Lakhovski بالملاحظات الدقيقة وبالعمليات العملية المحسوسة ان الحياة اشعاع كهرطيسي Electromagnetic Radiation يصدر من الخليات الحيوية في الأحياء من أدنى البكروبات حتى الانسان . وان جميع الافعال الحيوية تصدر من أمواج هذا الاشعاع . وقد اخترع جهازاً سمّاه Multiple Wave Oscillator لكشف هذا الاشعاع في الخليات الحيوية ولمعالجة معظم الامراض ولاسيما السرطان بحسب نظريته التي لا تقبل الشك عند من يطلع على تفاصيلها في كتابه . وسنبين في هذا المقال ان الخليات الحيوية التي يتألّف منها الجسم الحي تعمل أعمالها الحيوية وتتحرك وتنمو بفعل الامواج الكهرطيسية التي تنفعل بها من الخارج والتي تصدر من داخلها

اذا أخذت بعض أناث الحشرات الطائرة (الفراش) في قفص ، من موضع نولّدها الى مكان بعيد لاحشرات فيه — كما لو أخذتها من ضفة النيل الى الصحراء مثلاً — في اليوم التالي تجد جمهوراً من الذكور قد تجمع حول القفص على الرغم من ان المسافة بين موطنها والقفص بضعة أميال . فكيف اهتدت الذكور اليها ؟ فلا حاسة الشم ولا حاسة السمع ولا النظر تكفي لهذا الاهتداء مهما كانت هذه الحواس قوية . وانما الموجات الكهرطيسية الصادرة من الاناث والتي تصدم نوعاً خاصًّا من خليات الذكور في قرونها أو في نتوآتها تكفي لتنبيه الذكور وتوجيهها الى جهة الاناث . يحدث ذلك على نمط الاذاعة والاستقبال في أجهزة الراديو تماماً وموجات كأمواج الراديو في طبيعتها . بيد ان موجات الراديو مولدة وموجات خليات

الحشرات قصيرة جداً ، أقصر من الموجات السينية (أشعة رنتجن) بل تقارب موجات الاشعة الكونية

بفعل هذا الفعل الكهربطيسي الموجود في خليات الاحياء الحقيرة والعليا حتى النباتات يتسنى للطيور المهاجرة أن تهاجر في فصل معين من أوروبا الى افريقيا ومن أية قارة الى أخرى . وما فتىء العلماء يقولون ان هذه الغريزة في بعض الطيور وغيرها من الحيوانات انما هي غريزة فيها . ولكن ما من أحد فسّر لنا ما هي الغريزة تفسيراً يخرجها من حيّز الغموض الى حيّز الوضوح . بل لا تزال الغريزة لفظة مبهمة لا معنى لها إلاّ انها تسمية لهذه الظاهرة الغامضة وغيرها من الظاهرات غير العقلية في الاحياء . ولكن نظرية لاخوفسكي أبانت لنا ان الغريزة ليست إلاّ هذه الموجات الكهرطيسية المترددة بين الخليات الحيوية كما سيتضح فيما بعد

ومن أمثلة ذلك أيضاً ان تألّق حشرة الحُباحب في الليل انما هو أمواج كهرطيسية في نوع من خلاياها تقارب موجات النور في الطول وعدد الذبذبات ، أي عدد الموجات في الثانية . حتى ان قوة الشم التي تهتدي بها الكلاب الى المجرمين ليست بالحقيقة في حاسة الشم نفسها وانما هي الجهاز الكهربطيسي في خليات من أنف الكلب مختصة بالانفعال بما يصدر من كهرطيسية المواد المشمومة كما ينفعل جهاز الراديو عندك بموجات اذاعية خاصة لا بغيرها حينما توجههُ الى تلك الموجات

وحاصل القول ان خليات جميع الاجسام الحية على الاطلاق انما هي أجهزة كهرطيسية مختلفة القوات الموجية من حيث طول الموجة وعدد الموجات في الثانية (الذبذبات) وكل نوع منها ينفعل بدرجة خاصة من الامواج كما انهُ يصدر ذلك النوع نفسه . كل خلية تصلح أن تكون مذيعة وأن تكون قابلة للمذيع

وكذلك ما يسمونهُ تلبثي Telepathy (توارد الخواطر) انما هو من هذا القبيل أيضاً — أمواج كهرطيسية خاصة تصدر من خليات دماغ واحد فتصدم خليات دماغ آخر قابلة لتلك الامواج فتحرك فيه فكراً يشبه الفكر الذي سببها في الدماغ الأول

الاشعاع

وقبل ان نفصل هذه الاجهزة في الخليات الحيوية نشرح للقارىء بأخصر ما يمكن ما هو المراد بالأشعاع Radiation الكهرطيسي — أي الكهربائي المغنطيسي — وهو من طبيعة الأشعاع الذي ألفهُ الناس في الراديو . فجهاز الاذاعة يطلق

في الفضاء موجات لا هي كهربائية فحسب ولا هي مغنطيسية فحسب بل هي كهربائية مغنطيسية متدمجتين معاً. فاذا صادفت جهاز راديو مفتوحاً على نفس درجة تلك الموجات تأثر الجهاز بها وإلاّ بقي صامتاً. هذه الموجات هي ذبذبات موجية في الاثير تنتشر في الفضاء الى مدى لا نهاية له وكلما ابتعدت عن المصدر ضعفت قوتها بحسب مربع البعد. فهذا الانتشار هو ما نسميه اشعاعاً Radiation. وهذه الموجات تختلف بطولها وقصرها. ومهما طالت أو قصرت فهي تندفع بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية. ولذلك كلما كانت الموجة قصيرة كان عدد الموجات (الذبذبات) في الثانية كثيراً وكلما كانت طويلة كان عدد الموجات أقل. وسواء كان هذا أو ذاك فحاصل ضرب طول الموجة بعدد الموجات في الثانية يساوي ٣٠٠ الف كيلو متر دائماً

والعدد المعيّن في كل نوع من الموجات في الثانية نسميه « درجة » والدرجات التي بين العدد الواحد ومضاعفه تسمى طاقاً أو سلّماً كالسلم الموسيقية تماماً. وفي الطبيعة نحو ستين طاقاً أو سلّماً كهذه. ونحن لا نرى بالنظر من هذه الستين سلّماً إلاّ طاقاً واحداً وهو النور المؤلف (اذا انحلّ) من سبعة ألوان رئيسية كما هو معلوم (كالسلم الموسيقية المؤلفة من سبعة ألغام) وأما سائر الطقوم فلا نراها. وانما في امكان الآلات العلمية اشعارنا بها، وفي امكان الآلات احداث معظمها أيضاً. والسلم النورانية تقع في الثلث الاول من الستين سلّماً. وسلالم اللاسلكي هي السلالم الاولى منهُ. والامواج السينية أعلى من السلم النورانية. وسلم الاشعاع الكوني هي أعلاها جميعاً

الأشعة الكونية التي هي الطاقم الاعلى من طواقم الاشعاع أو الموجات تسمى « الاشعة النافذة » لأنها أقوى الأشعة في نفوذ الحُجب. فهي تخترق طبقة سبعة أمتار من الرصاص في حين ان الاشعة السينية لا تخترق اكثر من بعض السنتيمتر. وهي (أي الكونية) تأتي من مصادر سحيقة في أجرام الفضاء. وقد ثبت ان جانباً منها يصدر من كف الشمس وهذه الاشعة الكونية تلعب ادواراً عظيمة الشأن في كهربية الخلايا الحيوية وليست وحدها تلعب بل لسائر الاشعاع ادوار اخرى ايضاً

كهربية الخلايا

نأتي الآن للاجهزة الكهربية في الخلايا الحيوية

تؤلف الخلية من نواة في وسطها تحيط بها مادة مائعة تسمى بلازما، وحولها غلاف غشائي. وفي النواة اعضاء مختلفة ليس بهما منها الانحويطات تسمى كروموسوم. وهذه النحويطات

كأنابيب . وداخلها مائع يحتوي على املاح معدنية (منها الحديد) صالحة للتكهرب والتمغنط وجدرانها مواد عضوية — كربوهيدرات — عازلة للكهرباء Insulater اي انها تمنع انفلات الكهرباء منها . وفي هذه الانابيب أو الخريطات الذاتية (نسبة الى نواة) تلعب الموجات أو الذبذبات الكهربطيسية أدوارها

تصدم الاشعاعات الموجية من الخارج (كالاشعة الكونية مثلاً) الخريط فتكهربه، اي تحدث فيه قوة كهربائية مغنطيسية تسمى فعلاً ذاتيًّا Self Inductence فيصدر هو بدوره كهربطيسية مطابقة بالطول والذبذبة للموجة الصادمة على نفس مبدإ الراديو (ولا محل هنا لتفسير الفعل الذاتي أو الكهربة الذاتية فمن شاء فليرجع الى متون الكهربائية أو اللاسلكي) ولكل نوع او أسرة من الخليات درجة خاصة من درجات الاشعاع السابق بيانها ، كما إن لكل وتر في الآلة الموسيقية اهتزازات خاصة تصدر نغماً خاصًّا به

« جميع الاجسام الحية نباتات كانت أو حيوانات تشتمل خلياتها على أجهزة كهربطيسية كهذه تكون في حالتها الطبيعية متوازنة تحت تأثير جوّ من الاشعة الكونية وغيرها المنضمّة الى اشعاعات داخلية في الخلية نفسها متوقفة على بنيتها وعلى العمليات الغذائية التي تحدث فيها . فاذا كان مدى هذا الاشعاع زائداً أو غير مطابق لاشعاع الخلية الداخلي فلا بد أن يحدث عدم توازن في الذبذبات الموجية وهو امرٌ قاتلٌ أو معطل لخليات الجسم الحي . وقد يمكن أن يحدث هذا الاضطراب التوازني من جراء تغيّرات في الاشعاعات وهذه التغيرات تحوّر النشاط الوظيفي في الخليات في حالتي بث الامواج الكهربطيسية أو قبوطها الامر الذي يسبب عطل الخلية أو تحوير بنيتها كما يحدث في السرطان » (صفحة ٧٧ من الكتاب)

وحاصل الكلام ان الحياة ليست الاّ ظاهرة تذبذب موجي في نواة الخلية — هي نتيجة الاشعاع . ووجودها يتوقف عليه . ومن هذا يفهم بسهولة وجلاء ان الحياة باعتبار انها تتطابق في الذبذبات الموجية، يمكن ان تتحور أو تتعدل أو تتلف بأي عامل يفضي الى اختلال توازنها في الذبذبة الموجية . وعلى الخصوص اذا كان سبب هذا الاختلال فعل الذبذبات الصادرة من ميكروب والتي تتغلب على ذبذبات الخليات الضعيفة أو القليلة المقاومة لذبذبات الميكروب نفسه

يمكن القارىء أن يفهم ذلك جيداً من التمثيل بالاهتزازات الصوتية . اذا ضربت على وتر في البيانو جاوبته الاوتار الاخرى الموافقة له في عدد الاهتزازات في الثانية أو المضاعفة لها . واما الاوتار الاخرى فلا تتحرك لان عدم التوافق في الاهتزازات يعني عدم التوافق في طول الموجات كما تقدمت الاشارة . فاهتزاز الوتر الاكثر عدداً في الاهتزاز أو الاقصر

موجة لا يحرك الوتر الأقل عدداً والأطول موجةً ، أي أن الوتر العالي يسكت الوتر الواطيء النغم وسبب ذلك أن الموجة الهوائية التي صدرت من الوتر الذي ضربتهُ تصدم جميع الاوتار ، ولكن لا يتحرك بها الا الوتر الذي يستطيع أن يطاوعها ، أي انهُ يحرك موجة بطولها أو مضاعف طولها أو نصف طولها . وأما الوتر الذي اهتزازاته تحرك موجةً أطول أو أقصر فلا يستطيع أن يجاري موجات الوتر الذي ضربته فيبقى صامتاً ، وأن تحرك فلا يلبث أن تسكنهُ الموجات المنتشرة من الوتر المضروب

هذا الناموس التموجي يصدق تماماً على كل تموج آخر أثيري كالتموج الكهربطيسي

النزاع بين الميكروب والخلية

فاذاً للتفوق في الذبذبة قيمة في الغلبة بحيث ان الخلية التي تفوق ذبذبتها الموجية على ذبذبات الميكروب مثلاً تكون أقدر على الدفاع عن نفسها . وعلى كل حال الميكروب الذي هو خلية حيَّة سواءٌ كانت ذبذباته الاشعاعية أكثر أو أقل من ذبذبات خليات الجسم الحي لابدَّ أن يحدث اضطراباً في التوازن الذي كنَّا بصدده . والخلية السليمة التي لا تعود تتذبذب تذبذبها الطبيعي لهذا السبب تضطر أن تعدل سعة موجتها وعدد ذبذباتها ، الأمر الذي لا تستطيعه لانهُ يستوجب تغيير بنيتها ، وهذا أمرٌ متعذرٌ أيضاً ، ولذلك لا يعود في امكانها أن تقوم بوظيفتها الطبيعية . ولكي يمكنها أن ترجع الى حالتها الطبيعية الصحية يجب أن تعالج باشعاع (صناعي) موافق لاشعاعها في التذبذب الذي يرد لها نفس الطاقة اللازمة وبذلك تعود الى حالتها الصحية الطبيعية

« فهذه المساعدة الاضافية تبطل تأثير الميكروب الضار ، بل يمكن تغيير ذبذبة الميكروب نفسه بفعل ذبذبة الاشعاع المفتعل لمساعدة الخلية على العودة الى صحتها الطبيعية . وبهذا التغيير يختل توازن ذبذبة الميكروب نفسه فيهلك ، لأن للميكروب ، وهو خلية كسائر الخليات ، طبيعة الاشعاع والانفعال بالاشعاع كالخلية الانسانية نفسها

« بناءً على ذلك يكون الميكروب المسمى « كولى باسيل » مثلاً ضاراً بخلية الجسم الحي لانهُ يغير طبيعة اشعاعها . ولكن اذا كانت ذبذباته مطابقة لذبذبة خلية جسم آخر فلا يضرها لانهُ لا يغير مدى ذبذباتها ولا سرعتها . واما باشلوس التيفوئيد فلأن ذبذباته تختلف في الطول والسرعة عن ذبذبات خليات الجسم الانساني ، بل ان طبيعته الكهربائية مغايرة لهذه لاختلاف ظاهر في تركيبه الكيماوي ، فلابد ان يؤثر على اشعاعها ويغير مدى ذبذباتها . وبالتالي يتغلب عليها ويقتلها » (صفحة ٨٣ من الكتاب)

مرض المرض

فمسألة العلاج اذن ليست قتل الميكروبات في جسم المريض مباشرةً ، بل اعادة الذبذبة الكهربطيسية في خليات الجسم الى حالها الطبيعية بتأثير مباشر عليها بإحداث اشعاعات مطابقة لإشعاعاتها. وهذا ما اخترع له العلامة لاخوفسكي جهازاً يحدث إشعاعات متنوّعة الموجات بحيث يطلق الاشعاع الملائم لطبيعة اشعاعات الخلايا المريضة حسب مقتضى الحال

وقد وجّه لاخوفسكي معظم همه الى تعليل مرض السرطان وعلاجه . فهو يعتقد ان السرطان ينشأ في كبار السن كنتيجة لتغيرات أو تنوعات الذبذبات الموجية في الخليات بسبب التعدُّل أو التحوُّر في تطور الخليات الكهربائية مع الزمن

« في الانسجة الشائخة يزداد عدد الجُزيئات Molcules المحتوية على املاح معدنية كالحديد والفوسفور الخ بسبب تكون بعض المواد كالجلوبيولين Globulin وغيره ذي القدرة على تحوير المقادير الكهربائية الثابتة في الخليات وفي الدم . وزيادة الجزيئات هذه تؤثر في قوة مقاومة التيار الكهربائي الداخلي في الخلية . فالتيار الذي يتكوّن في الخويطات العضوية في نواة الخلية لا يعود مالكاً القدرة الكهربائية المعتادة التي لا بد منها لتوازنه ، لان طول موجاته قد تغير . ولم يعد عدد الذبذبات في الثانية كما كان بل يصبح مختلفاً عن ذبذبات الخليات السليمة الصحيحة

« ومن جهة أخرى يحدث تقسُّم الخليات (الذي هو طريقة التوالد فيها) كنتيجة لازدياد الجزيئات المشتملة على معادن والمشتقة من تكاثر الجلوبيولين وامثاله من المواد العضوية وهذا التقسم (التوالد المشار اليه) يزيد القدرة الكهربائية في الخليات الاخرى ، الامر الذي يحدث اضطراباً في التوازن الموجي (اي عدم التوازن في الذبذبات الموجية) . وحالما يتحوّر معدل التذبذب الطبيعي او يتغير التوازن المذكور ويضطرب ، فبدلاً من ان الخليات السليمة الصحية تنقسم تقسيماً طبيعيًّا ، تنقسم الى خليات سرطانية Neoplastic متذبذبة تذبذباً مخالفاً لتذبذبة الخلية الاصلية . وهذه الخليات الجديدة ، تفعل (بالفعل الكهربائي المباشر Induction) في الخليات المجاورة وتحرجها الى تغيير نوع ذبذباتها بحيث تطابق ذبذبات الخليات السرطانية المشار اليها . وهذه تفعل في جاراتها نفس الفعل وهكذا دواليك ، فتحوّل الخليات السليمة الى خليات ورم او دُمَّل سرطاني

« وهكذا يتضح لنا ان السبب الرئيسي في هذا التغيير الخُلَيّي هو التغير في نوع الذبذبات الموجية الاشعاعية (الكهربطيسية) في الخليات السليمة بسبب زيادة الجلوبيولين

المحتوي على قدر من الحديد والفسفور أكثر من اللازم في خليات كانت مستضعفة قبلاً

« في سن الخمسين يطرأ على بعض الاعضاء تطورات كيماوية . وبسبب هذا التطور تتطور الخليات أيضاً وتشرع تتذبذب ذبذبات جديدة تخالف ذبذباتها السابقة في الطول والعدد وتوجب على التقسيم الخلوي ان يكون سرطانيا على نحو ما تقدم بسطه . وزيادة الجلوبيولين والمواد الاخرى التي تحدث في سن خاصة ، وتغير ذبذبات الخليات الصحية، وتغير مقدرتها الكهربائية او تبدلها بتاتاً تحدث ليس السرطان فقط بل جميع امراض الشيخوخة» (صفحة ٩٣ من الكتاب)

***

اكتشاف سر الشفاء

وفي رأي لاخوفسكي ان الشفاء ، بعد بيان نظرية المرض هذه أصبح مسألة بسيطة . وقد أشرنا فيما سبق الى ان نواة كل خلية تشتمل على مواد مختلفة قابلة للتغير في طبيعتها وفي نسبة بعضها الى بعض كمّاً وكيفاً . وبعض هذه المواد موصل جيد للكهرباء كالأملاح المعدنية وبعضها عازل لها Insulatur كالمواد الدهنية والراتنجية والكولسترول وهي مرتبة بحيث تظهر النواة بها كأنها بوبة مصنوعة من مواد « عازلة » ومملوءة بشبه مائع « موصل »

وجميع هذه المواد العازلة قابلة للذوبان عند درجات خاصة من الحرارة متنوعة حسب طبيعة كلٍ منها . وغشاء خيط النواة هو مادة عازلة تذوب عند درجة خاصة من الحرارة مختلفة بحسب نوع المكروب ومتوقفة على طبيعة العناصر المؤلفة منها وعلى نسبيات أجزائها . والدرجة العليا من الحرارة التي تستطيع الخلية احتمالها من غير ان تهلك تتوقف على بقية الخلية نفسها لان الخلية تموت حين تذوب نواتها . زد على ذلك ان كل نوع من الميكروبات يقاوم الحرارة الى حدّ معين . وقد لوحظ ان بعض الميكروبات تهلك عند إحداث حد معين من الحمى للجسم بحيث لا تتجاوز الحرارة الحد الذي يستطيعه الجسم وإحداث الحمى يكون إما بالتلقيح بالملاريا أو بالكولوبدال بحيث يحدث اضطراباً عضوياً ويحدث حمى رد الفعل . ولكن قد تتجاوز الحمى الحد فيهلك المريض في حين يراد شفاؤه — لذلك لا يعتمد على هذه الطريقة في العلاج

ولكن فلاخوفسكي رأى ان رفع حرارة الحمى الى الحد المراد بلا ضرر يمكن إحداثه باحداث التيار الكهربي في الخلية بإمرار تيار ذي ذبذبة عالية على الجسم يحدث ذلك بالإحراج Induction . ويظهر ان الجهاز الذي اخترعه يقضي هذا الوطر من غير أذى

وظيفة هذا الجهاز أن يقوي ذبذبات الخلية الانسانية بإحداث ذبذبة مطابقة لها فتتغلب على ذبذبة خلية الميكروب أو خلية السرطان فتقتلها

وكان العلم أخيراً يحاول أن يعالج بعض الامراض بالكهرباء على غير علم أو غير هدى من غير أن يفهمنا تعليلاً للشفاء بها . وقد ظهر أخيراً ان هذا العلاج قليل الجدوى أو عديمه لعدم التطابق في الذبذبات كما تقدم شرحه

وكذلك كان الأطباء يعالجون السرطان بالراديوم من غير أن يفهموا كيف يشفيه الراديوم لأنهم لم يستعملوه على قاعدة الاشعاع في الخلية بل استعملوه اعتباطاً . ولذلك كان الغالب في نتيجة المعالجة بالراديوم ان الخليات السليمة تتلف به كما تتلف الخليات السرطانية

وقد ذكر لاخوفسكي حكاية الطبيب الانكليزي الدكتور برسي فورنيفال الذي عالج سرطانه بالأشعة السينية ثم بالراديوم مدةً ، الى أن قضى هذا العلاج على حياته . فكتب قبل وفاته يصف الجحيم الذي كان يعانيه من الراديوم والاشعة السينية ، وسخط على الأطباء الذين أشاروا بالمعالجة بالراديوم والاشعة على غير هدى

وقد جرّب جهاز لاخوفسكي في كثير من المستشفيات فنجح نجاحاً باهراً . واستشفى به قداسة البابا منذ سنة ١٩٣٧ فشفي تماماً . واحتفظ قداسته بالجهاز المذكور في مستشفى الفاتيكان . ولا يزال يستعمل فيه كلما مست الحاجة اليه وقد شفي بواسطته كثيرون

وليس في الامكان الاسترسال في هذا المقال فيما أتاه لاخوفسكي من الظاهرات البيولوجية والباثولوجية التي تنتج من اشعاع الخليات الحيوية . وما ذكرناه ليس الا نموذجاً بسيطاً لهذه الظاهرات

على ان هذا العلامة فصلاً خطيراً الشأن عن أصل الحياة ونشوئها سنتحين فرصة أخرى لتلخيصه . والذي نرجوه انه سيكون لنظرية لاخوفسكي هذه شأن عظيم في عوالم العلم . وسنتقدم به تقدماً كبيراً علوم البيولوجيا والباثولوجيا والبكتيريولوجيا والسيكولوجيا وقد تقلبها رأساً على عقب . وسينكشف بها سر الجهاز العصبي ولاسيما الدماغي وتبرز حقيقة العقل من خفائها الى حيز الوضوح

[القتطف] النظرية بديعة محكمة الأجزاء تستهوي الذهن ولكن المهم أولاً إقامة الدليل التجربي على صحتها وثانياً هل تفسر مجهولات ثم يثبت البحث أنّ تفسيرها صحيح وثالثاً هل تكشف عن خفي أو توجه الى الكشف عن خفي ثم يكشف فعلاً ، والى أن تثبت هذه المسائل يسعنا أن نقابل ما جاء علمي